

### ﴿ فصل المقال في توسل الجهاد ﴾

ألف الشيخ أبو بكر خوثير الكتي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجهاد) واسمه يدل على مساهمة وقد أحسن فيه ونصر السنة وخال البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على تفتحة الحاج عبد القادر النحاسي النانبل السني وأنا نورد خاتمه على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووقفه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (إنما أمرنا شيء إذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المهملين في الأولياء من أن لهم التصرف وإن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويدلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانباء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بأبي أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقرره وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - أمر ان لا تعبدوا الاياه - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال ( يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغثت فاستغن بالله ) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً لآمنه  
 كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله  
 وهذا الدعاء منع عنه الشارع إذ لا يستعان إلا بالله (اياك نستعين) .  
 واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون  
 وجه فأطاعه مطلقاً فإن الله - من ذلك المطيع عابداً لتلك الطاعة ومتخذة ربا  
 قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أيها الذين آمنوا لا تعبدوا أحبارهم  
 ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير  
 الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء منح العبادة وأما  
 من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله  
 مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون  
 الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم  
 ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه  
 أولى من هذه الحثية وسداً للذرائع لان الجهالة لا يفرقون بين التوسل  
 والاستشفاع والطلب من التوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم  
 محض ووص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجويز مع  
 ضعفها فأنها لا تفيد الاجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع  
 بقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل  
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من  
 المبتدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول النامة يا شيخ عبد القادر

شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اجتاحت شريفة

في هذا المقام لا تنمر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فليهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يبيض الله أوثك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مدار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجزأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يقتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية والبيهقي ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاياب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وليحكما بينهما بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاوار والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يماكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويذكرك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بالاحجة وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيره

الذميمة فلا تفتقر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون  
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بل الأرض منهم  
 « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان  
 وحده وان خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ  
 باليمن فما فارقت حتى وارتته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد  
 الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته  
 يوم من الايام وهو يقول سيبي عليكم ولا تؤخرون الصلاة على واقبتها فصلوا  
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافذة قال قلت لأصحاب  
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذلك قلت تأمرني بالجماعة وتخضني عليها  
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافذة  
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري  
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما  
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرِب علي فخذي وقال  
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله  
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة  
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها  
 البيهقي وغيره وقال بمض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال  
 أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فسخ  
 المتخلفون الذين جعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور  
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكر آفة أهله  
 وقردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شد شد الله به في النار . . .

صرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ وملتقون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك فأخذته بالسياط والعقوبة بعد الجبس الطويل فلاله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيج لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينظرها خلفهم من المؤمنين {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى {ان ابراهيم كان أمة} أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتل الله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيها له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يقتصر في كل باب من أبواب العلم بأصل

أثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب المقالات ﴾

### الأمَل وطلب المجد (\*\*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ \* وَمَنْ يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفعه به على سائر الالكوان، ليلخ به المقام المحمود، ويحوز ما أعد له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصنع لناجاة مترك، تجد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بجاهها تجد مثل ذلك في كتابها كما هو في آحادها تنبئ رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يصف حرصه، ولا ينقص ميته. يقطع شعابا، ويعاني صدايا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسهم شاهق العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأيته يشمل وينضجر كما يتقلب على

(\*) من مقالات العمرة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الامتاز الامام